والقرآن الكريم يعرض الكفر والإيمان من خلال السلوك الظاهر والتحاق الإنسان بحزب الله أو بحزب الشيطان ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾(١) .

وتدبر قوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مردّ له من الله يومئذ يصّدّعون * من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون * ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ﴾(٢) .

إننا ـ فيما نكتب ـ نرفض الأسلوب اليونانى الذى فكر به بعض الأقدمين، ونعرض الإيمان منهجا وسلوكا . ويعجبنى قول ابن الرومى :

أمامك فانظر أى نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم وأعوج .. !

وفى القرآن الكريم وصف لنهج الباطل ، ووصف لنهج الحق، وحكم حاسم على الفريقين معا . قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾ .

هذه صفة الذين كفروا ، وذاك مصيرهم ! فما هى صفات الفريق الآخر ومصيره ؟ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ .

لاحظ اقتران الإيمان بالعمل فى الترشيح لتلك المكانة الرفيعة ، ثم لاحظ أمرا آخر أنه بعد تقرير الجزاء المعدّ لهم استكمل الصفات التى لابدّ منها لاستحقاق هذا الجزاء ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ﴾ .

هذا هو الجزاء ! فما الصفات الباقية لإحراز الفوز ؟ ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾(٣) .

الرضا عن الله والخوف منه ! إن الرضا شعور يتولد بعد تجارب مع القدر، يشكر المرء فيها حينا ويصبر حينا . والخوف شعور يتولد مع مقاومة الرغبات الطائشة، ويقظات الضمير العفيف . .

---

(١) آل عمران : ٣٢ . (٢) الروم : ٤٣ ـ ٤٥ . (٣) البينة : ٦ ـ ٨ .